اليواقيت والجواهر

في بيان عقائد الأكابر

وبأسفله

الكبريت الأحمر

في بيان علوم الشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ)

وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسية

المختصر من الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي

(ت ٩٧٣ هـ)

طبعة جديدة مصححة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة

دار إحياء التراث العربي — مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

اليواقيت والجواهر

في بيان عقائد الأكابر

وبأسفله

الكبريت الأحمر

في بيان علوم الشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي المتوفى سنة (٦٣٨ هـ)

وهو منتخب من كتاب لواقح الأنوار القدسية

المختصر من الفتوحات المكية

تأليف

الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المصري الحنفي

(ت ٩٧٣ هـ)

طبعة جديدة مصححة ومخرجة الآيات القرآنية الكريمة

الجزء الثاني

دار إحياء التراث العربي — مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه

تعترض عليه والله أعلم.

المبحث الثالث والثلاثون: في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان امتناع رسالة رسولين معاً في عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول خليفة وغير ذلك من النفائس التي لا توجد في كتاب

اعلم يا أخي أنه قد ورد في «**الصحيح**» أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصادقة الحديث.

(**فإن قلت**): ما حقيقة بدء الوحي؟

(**فالجواب**): كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين من «**الفتوحات**»: أن المراد ببدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال سواء كان ذلك في نوم أو يقظة.

(**فإن قلت**): فإذن هو من مدركات الحس؟

(**فالجواب**): نعم، هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] قال الشيخ محيي الدين: وفي حضرة الخيال أدرك رسول الله ﷺ، العلم في صورة اللبن، ولذا كان يؤول به رؤياه وهذا هو ما أبقاه الله تعالى على الأمة من أجزاء النبوة فإن مطلق النبوة لم يرتفع وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط كما يؤيده حديث: من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه. فقد قامت بهذا النبوة بلا شك. وقوله ﷺ: «فلا نبي بعدي ولا رسول» المراد به لا مشرع بعدي.

(**فإن قلت**): فما الحكمة في كون الرؤيا الصادقة جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما حكمة هذا العدد؟

توحيده وإيمانه بخلاف غير الزعزع فإنها لا تطفىء نور السراج وإنما تميل لسانه حتى يحير في الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى في فروع الشريعة كالوقوع في المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان، ولا تقدح في توحيده وإيمانه فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم.

(**وقال**): في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] الآية. اعلم أن القرين لا يكون إلا في أمة بين أظهرها شرع فإن لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين إذ الشيطان الذي هو القرين لا يكون إلا في مقابلة الملك الذي يأمر العبد بالخير بلسان الشرع، وأما إذا لم يكن شرع فإنما العبد متصرف بحكم طبعه لأن ناصيته بيد ربه خاصة فلا يوكل به القرينان إلا إن

(فالجواب): إنما خصت الأجزاء بهذا العدد لأن نبوته ﷺ، كانت ثلاثاً وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة أشهر إلى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً فلا يلزم أن تكون هذه الأجزاء لنبوة كل نبي فقد يوحى إلى نبي أكثر من ذلك فتكون الأجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم.

(فإن قلت): هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للأنبياء.

(فالجواب): إن ولاية الله تعالى لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى. وفي حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من عباده برسالة أو نبوة أو إيمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لا بد أن يكون نبياً وكل نبي لا بد أن يكون ولياً وكل ولي لا بد أن يكون مؤمناً.

(فإن قلت): فإلى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة؟

(فالجواب): أما الرسالة فتستمر إلى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فإنها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها بالدنيا.

(فإن قلت): فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائة، أن حقيقة الرسالة إبلاغ كلام الله من متكلم إلى سامع وهو حال لا مقام إذ لا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] فالإتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل إليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لأن المرسل هو اللبن انتهى. وقال في الباب السابع والخمسين ومائة: اعلم أن الرسالة نعت كوني متوسط بين مرسل ومرسل إليه والمرسل به قد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لانقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩]. فالرسالة هنا هي التي أرسل بها وبلغها، وهكذا وردت في القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول إلا بواسطة روحي قدسي ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له

دخل في دين إلٰهي يتعبد نفسه به، فإن العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب إلى الله تعالى وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر.

(وقال): قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام، فإنه خلق من ماء أمه فقط وذلك أن الملك لما تمثل لها بشراً سوياً سرت اللذة بالنظر إليه بعدما استعاذت منه وبعد أن عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاماً زكياً فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها إلى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط: وقال في الباب

الملك رجلاً وكل روحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية، وإنما يسمى وحياً أو إلهاماً أو وجوداً أو لا تكون الرسالة إلا كما ذكرنا يعني بواسطة روحي قدسي.

(فإن قلت): فما الفرق بين النبي والرسول؟

(فالجواب): الفرق بينهما هو أن النبي إذا ألقى إليه الروح شيئاً اقتصر به ذلك النبي على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره، ثم إن قيل له: بلغ ما أنزل إليك إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء وإما عامة ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ، سمي بهذا الوجه رسولاً وإن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي وأعني بها نبوة التشريع التي لا تكون للأولياء. فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء من الحكم في حق نفسه فهو رسول لا نبي وإن خص مع التبليغ بشيء في حق نفسه فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه، ولا كل نبي رسول بلا خلاف والله أعلم. هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والخمسين ومائة، فليتأمل. فإن قال: من بلغ شرعاً لا نصيب له في العمل به يطلق عليه نبي أيضاً من حيث إنه مخبر والله أعلم.

(فإن قلت): فهل كان الوحي للأنبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل في اليقظة أم في المنام؟

(فالجواب): لم أر في ذلك شيئاً عن الأصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديريني في كتابه المسمى «**بالدرر الملتقطة**» أن الأنبياء الذين لم يرسلوا، كان الوحي إليهم في المنام على لسان جبريل انتهى. فلا أدري ما دليله في ذلك فليتأمل.

(فإن قلت): فكم تنقسم النبوة على قسم؟

(فالجواب): تنقسم النبوة البشرية على قسمين.

(القسم الأول): من الله تعالى إلى غيره من غير روح ملكي بين الله تعالى وبين عبده بل إخبارات إلهية يجدها في نفسه من الغيب أو في تجليات، ولا يتعلق بذلك الإخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعاني الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت أنه من عند الله تعالى

السوفي ثلاثمائة في حديث «إن الصدقة تقع بيد الرحمٰن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله». إنما قال ذلك ولم يقل كما يربي أحدكم ولده لأن الولد قد لا ينتفع به إذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى أن الله لم يخلقه، والفلو، والفصيل ليس هما كذلك فإن المنفعة بهما محققة ولا بد إما بركوبه، أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله إن احتاج إليه فشبهه ﷺ، بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق أنه ينتفع بما تصدق به ولا بد ومن الانتفاع بها أنها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضي بين الناس.

أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذي أرسل إليه وأمرنا باتباعه أبداً.

(القسم الثاني): من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد ﷺ، وهم الذي يكونون كالتلامذة بين يدي الملك، فينزل عليهم الروح الأمين بشريعة من الله تعالى في حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد ﷺ، إلا في الأئمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به انتهى.

(فإن قلت): هل ثم أحد من البشر ينال في الدنيا علماً من غير واسطة محمد ﷺ؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الأحد وتسعين وأربعمائة، ليس أحدٌ ينال علماً في الدنيا إلا وهو من باطنية محمد ﷺ، سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه. وأطال في ذلك كما تقدم بسطه في المبحث قبله.

(فإن قلت): فهل أطلع الله تعالى أحداً من الأولياء على عدد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه؟

(فالجواب): نعم ذلك واقع لكل من حق له قدم الولاية الكبرى. وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة: اعلم أن عدد الأنبياء والمرسلين من بني آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً كما ورد في الحديث ولا بد من هذا العدد في الأولياء في كل عصر وقد يزيدون، قال الشيخ: وقد جمع الله تعالى بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد إلا وعرفته وكذلك جمعني على من هو على أقدامهم من الأولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم. وقال أيضاً في الباب الثالث والستين وأربعمائة: رأيت في كشفي جميع الأنبياء والمرسلين وأممهم كما سيأتي مشاهدة على من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق تعالى في صعيد واحد. قال: وصاحبت منهم غير محمد ﷺ، جماعة منهم: الخليل عليه الصلاة والسلام، قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك مني فكان يبكي عند كل موضع

(قلت): ويحتمل أيضاً أنه إنما مثل بالفلو دون الولد لأن الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم. وقال في الباب الثالث والثلاثمائة: اختلف العلماء في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن؟ فذهب قوم إلى أن المرأة إذا ماتت كانت من زوجها كالأجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها وذهب آخرون إلى بقاء حرمة الزوجية فله أن يغسلها، وحاله معها كحاله في حياتها. فإن كان رجعياً فإن الأرواح ترد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث وإن كان بائناً فقد ترد إليها مع اختلاف التأليف وقد ينشىء الله تعالى أجساماً أخر أصفى، وأحسن لأهل النعيم ولأهل الشقاء بالعكس ولكن الأول أظهر لقوله تعالى: ﴿بُعْثِرَ مَا

ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لي منه خشوع عظيم. وأما موسى عليه الصلاة والسلام، فأعطاني علم الكشف والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار. وأما هود عليه الصلاة والسلام، فأخبرني بمسألة كانت وقعت في الوجود وما علمتها إلا منه. وأما عيسى عليه الصلاة والسلام، فتبت على يديه أول دخولي في طريق القوم. قال ورأيت في هذه الواقعة أموراً علمت منها أنه لا حظ لي في الشقاء ومنها: أني رأيت نفسي في السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام، فشكرت الله على ذلك. وقال أيضاً في الباب الثالث والسبعين: ما اجتمعت بأحد من الأنبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام، وكنت كلما اجتمعت به دعا لي بالثبات في الدين حياً وميتاً وكان لا يفارقني حتى يدعو لي بذلك. وكان يقول لي: يا حبيبي، وأمرني أول اجتماعي عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظاً للأمانة لم يأخذه في الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود انتهى. وقال أيضاً في الباب الخامس والستين وثلاثمائة: قد شاهدت في واقعةٍ نبينا محمد ﷺ، وشاهدت جميع الأنبياء من آدم إلى محمد ﷺ، وأشهدني الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقي منهم أحد لا من كان ولا من يكون إلى يوم القيامة، وعرفت خاصهم وعامهم، وعرفت جميع السعداء الذين كانوا في ظهر آدم وعددهم فلا يخفى علي الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطني الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وعرفت في هذا الكشف جميع مراتب الأنبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملاً مما هو في العالم العلوي والسفلي وشاهدت ذلك كله عياناً وما زحزحني ذلك الذي رأيته وشاهدته عن إيماني فلم أزل أقول وأفعل ما أقوله لقول النبي ﷺ لي: قل كذا وافعل كذا لا لعلمي ولا لعيني ولا لشهودي فواخيت في شهودي بين الإيمان والعيان في آن واحد لئلا يفوتني ثواب الإيمان. قال: وهذا مقام ما وجدت له ذائقاً إلى وقتي هذا وإن كنت أعلم أن في رجال الله تعالى من ناله لكني لم أجتمع به يقظة ومشافهة. قال: وسبب ذلك أني ما علقت خاطري قط من جانب الحق تعالى بشيء يطلعني عليه من الكون وإنما علقت خاطري مع الله تعالى أن يستعملني فيما يرضيه، ولو خالف ذلك هوى نفسي وأن لا يحجبني عنه بوقوع ما يباعدني عنه وعن شهوده فإني أنا العبد المحض الذي لا أرى لي شفوفاً على أحد من عباد الله تعالى،

فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] فالموت طلاق رجعي والله أعلم. وقال في حديث: «ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه» إنما لم يقل قد أدرجت النبوة في صدره، أو بين عينيه، أو في قلبه، لأن تلك رتبة النبي لا رتبة الولي وأين الاكتساب من التخصيص فمن تعمل في تحصيل الولاية حصلت له وإن كان نفس التعمل في تحصيلها اختصاصاً من الله أيضاً يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية إلا بالمشي في نور النبوة وأطال في ذلك وقال: كانت القوة التي ظهرت في أبي بكر الصديق يوم موت النبي ﷺ، كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي، فقوي حين ذهلت الجماعة لأنه لا يكون صاحب التقدم في الإمامة إلا صاح غير سكران فكان

وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعاً على قدم المعرفة، قال: وإنما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحاً لباب تنشيط الإخوان لطلب نيل مقامات الرجال انتهى.

(فإن قلت): فما معنى قوله تعالى: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]؟

(فالجواب): أن الروح هنا هو الملقى من عند الله إلى قلوب عباده، ويكون أمر الله تعالى هو الذي ألقاه، لأن صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢] ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا إله إلا هو فالوسائط مرتفعة في هذا المنزل لا وجود لها إذ كان عين الوحي المنزل هو عين الروح، والملقي هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك.

(فإن قلت): فهل الملائكة تعرف هذا الروح؟

(فالجواب): لا تعرف الملائكة هذا الروح لأنه ليس من جنسها إذ هو روح غير مجهول، وليس نورانياً والملك روح في نور. قال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين ومائتين: وهذا الرزق لنا ولسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأما تنزل الأرواح الملكية على قلوب العباد، فإنهم لا يتنزلون إلا بأمر الله الرب، وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالإنزال، وإنما يلقي إليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم في صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الإنزال والنزول بما وجده في نفوسهم من الوحي الذي لا يليق بهم، فإنه من خصائص البشر، فإن البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم في الصورة التي عندهم، فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها في الأرض فينزلون عليه ويلقون إليه ما ألقي إليهم فيعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحي، فإن كان منسوباً إلى الله تعالى بحكم الصفة سمي قرآناً وفرقاناً وتوراة وإنجيلاً وزبوراً وصحفاً وإن كان منسوباً إلى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمي حديثاً وخبراً وسنة ورأيا. قال الشيخ: وقد ينزلون أيضاً بالأمر الإلهي من حضرة الخطاب.

(فإن قلت): فما معنى قول الملك ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا

هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فإن ذلك مقام إلهي قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]. وأطال في ذلك. ثم قال: فعلم أن تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع إلى الله، فإنه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى.

(قلت): ذكر الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة، في الكلام على اسمه تعالى

بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] ما معنى هذا النسيان؟

(فالجواب): معناه ليس ربك نسياً فيما شاهده من قول جبريل لمحمد ﷺ في حال كونها أعياناً ثابتة في علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسياً لأنه حكاية أمر محقق في وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم إن تلك الأعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها، ولم تشهده هي لعدم وجودها لنفسها، وقد روي عن الزهري أنه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثني فلان عني أني قلت كذا وكذا، وذلك أن الزهري لما قال حدثني فلان اتصل الإسناد، وإن كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ في الباب السابع والثمانين، وسيأتي بسط الكلام على أحوال الملائكة في المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم.

(فإن قلت): هل النبوة مكتسبة كالولاية؟ أي ولاية النبي في نفسه كما قيل؟ أم هي موهوبة؟

(فالجواب): الولاية في كل من النبي والولي مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة، وإيضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق في علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلاً، والأنبياء أنبياء، والأولياء أولياء، والمؤمنين مؤمنين، والمنافقين منافقين، والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، ولا يتبدل أحد بأحد فليس لمخلوق تعمل في مقام لم يخلق عليه، بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجري أحد في مجراه، ولا يمشي أحد في مدرجة أحد. إذ لو سلك أحد في مدرجة أحد لكانت النبوة مكتسبة وحصلها من لم يكن نبياً، وذلك غير واقع انتهى.

وقال الشيخ أيضاً في الباب التاسع عشر: لكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره إذ لو رقي أحد في سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة والأمر على خلاف ذلك.

(فإن قلت): فما شبهة قول من يقول إن النبوة مكتسبة؟

(فالجواب): شبهته في ذلك كونه رأى الأنبياء قبل رسالتهم لا بد أن ينقطعوا أو يتعبدوا

المعطي ما نصه: اعلم أن الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لكونه أحق بها من محمد ﷺ، وإنما أمرنا بها لتقدمه في الزمان فيها فللزمان حكم في التقدم من حيث هو لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله ﷺ، الذي كان من حكمة الله تعالى إعطاؤها لأبي بكر ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، بحسب أعمالهم التي قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلي من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق في كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة

على نية قوة الاستعداد للوحي ليرجعوا إلى الحالة التي كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير، فلما نظر هؤلاء القوم إلى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهمٌ وقصور نظر.

(فإن قلت): فما شبهة منكري النبوات المعهودة؟

(فالجواب): سبب إنكارهم ذلك توهمهم أن كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الأخلاق العرفية صار نبياً من غير وحي إليه على لسان ملك قالوا فإنه إذا صفي قلبه انتقش في قلبه جميع ما في العالم العلوي من العلوم السماوية التي في اللوح المحفوظ وغيره بالقوة، فينطق بالغيوب فهناك يسمى نبياً عندهم ذكره الشيخ في الباب الخامس والستين وثلثمائة. ثم قال: وليس الأمر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء، وإن جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الإلهية لأنه لم يبلغنا أن نبياً أو حكيماً صفى جوهرة نفسه فأحاط علماً بما يحتوي عليه حاله في كل نفس أبداً بل غايته أن يعلم بعضاً، ويجهل بعضاً، وأطال في رد أقوال منكري النبوّة فكذب والله، وافترى من زعم أن الشيخ فلسفي كما مر في مبحث حدوث العالم.

وقد قال أيضاً في الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال: إن النبوة مكتسبة أخطأ لأن النبوة اختصاص إلهي قطعاً. قال: وشبهة قول من يقول إنها مكتسبة زعمه أنها ليست من الله تعالى، وإنما هي من فيض العقل والأرواح العلوية انتهى.

وقال أيضاً في الباب الرابع والثمانين: اعلم أن كل مأمور به فهو مقام مكتسب، ومن هنا قالوا: المقامات مكاسب والأحوال مواهب انتهى.

(فإن قلت): فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الثامن والأربعين: أنه ليس كل رسول خليفة إنما تكون الخلافة لمن نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لأنه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فأجمل الله تعالى له الخلافة

ذلك إلا بالموت. قال ومع هذا البيان بقي أهل الأهواء في خوضهم يلعبون مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان وشفتين انتهى. وقال أيضاً في الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور ما نصه: اعلم أن حد الآخر من الثاني الذي يلي الأول إلى ما تحته فهو المسمى بالآخر لأن له حكم التأخر عن الأولية بلا شك وإن استحق الأولية هذا المتأخر فما تأخر عن الأول إلا لأمر أثبته الزمان لأن وجود الإلهية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للأفضلية في الحقيقة كخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، رضوان الله عليهم أجمعين. فما من واحد إلا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم

وما قال له احكم.

(فإن قلت): فما الفرق بين الخلافة والرسالة؟

(فالجواب): الفرق بين الخليفة والرسول أن الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا، وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة، وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهي في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة.

(قلت): ويصح أن يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضاً، من حيث إنه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم. فعلم أن للخليفة أن يشرع كل ما أراد مما لم يأمره الحق به صريحاً وليس ذلك للرسول قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] أي: أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد بقول محمد فيه إن الله يأمركم بكذا ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٥٩] فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم إنه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٥٩] ففصّل أمر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله، ولو كان يعني بذلك ما بلغه إلينا عن أمر الله الذي أمرنا به لم يكن، ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له ﷺ أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو إنه من عند الله، وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الإذعان والطاعة للرسل إن شاء الله تعالى.

(فإن قلت): هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر إلى مقامهم طلبهم الأجر على التبليغ كما أشاروا إليه بقولهم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في باب أسرار الزكاة من «**الفتوحات**»: لا يقدح في عبودية رسل ذلك، وإنما قال نوح عليه الصلاة والسلام: إن أجري إلا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطلب الأجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فإن العبد في صورة الأجير ما هو أجير، إذ حقيقة الأجير من استؤجر وهو أجنبي عن عبودية المستأجر له، والسيد لا يستأجر عبده، وإنما العمل يقتضي الأجرة وهو لا يأخذها، وإنما يأخذها العامل وهو العبد فهو

بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان إلا الزمان فلما سبق في علم الله أن أبا بكر يموت قبل عمر، وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي، والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم أن أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الأربعة وما قدم من قدم من الأربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق إلا حكم الآجال والعناية وفي الحديث إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر، فلا بد لأبي بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فإن خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه إلى أنه خلع

قابض الأجرة من الله تعالى فأشبه الأجير في قبض الأجرة وفارقه بالاستئجار انتهى.

(فإن قلت): فهل الأفضل ترك الأجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الكلام على الأذان: أن مذهب المحققين أخذ الأجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الأخذ من الله لا من المخلوقين. فللكمل طلب الأجرة وأخذها من باب المنة وإظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل ويتمتع به فعلم أن مقام الدعوة إلى الله تعالى يقتضي الأجرة وما من نبي دعا قومه إلى الله تعالى إلا قال لا أسألكم عليه أجراً فأثبت الأجر على الدعاء، ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى.

(قلت): ويؤخذ من هذا أن للواعظ منا أو المدرس أو المفتي يعلم أن يأخذ أجراً على ذلك إذ هو من عمل يقتضي الأجر بشهادة كل رسول لله تعالى، وله أيضاً أن يترك الأخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ هو أجر تفضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجراً من حيث إنه ملكه وعين ماله.

وقال الشيخ أيضاً في الباب السادس عشر وثلثمائة: اعلم أن استخدام الحق العبد على حالين للعبد: فتارة يعبده العبادة المحضة، وتارة يعبده عبادة إجارة فمن كونه عبداً هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه إنما له ما يمن به على عبده من النعم التي هي أفضل من الأجر لا على جهة الأجر ثم إنه تعالى ندب إلى عبادته في أمور ليست فرضاً على العبد فعلى هذه الأعمال المندوبة فرضت الأجور فكل من تقرب بها إلى سيده أعطاه أجرته عليه وكل من لم يتقرب لم يطلبه بها ولا يعاقبه عليها. فمن هنا كان العبد حكمه حكم الأجير في الإجارة، فالفرض له الجزاء الذي يقابله من حيث إنه هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الأجور وهي قوله في الحديث القدسي: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. الحديث فإذن: انتجت النافلة للعبد محبة الحق تعالى، والنكتة في ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالأجير، فإذا اختار الإنسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه، وأما في الفرائض فهو عبد اضطرار لأن العبودية

عن الخلافة من يستحقها ونسب إلى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لما مات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة أن يليها في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الأهلية قال: وما علم الناس ذلك إلا بعد أن بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحداً بعد آخر إذ التقدم إنما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين، وقد أطال الشيخ محيي [illegible] الذي وقر في

أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم أن بين الإنسان في عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الأجير، والعبد المملوك، فإن العبد الأصلي ماله على سيده استحقاق إلا ما لا بد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات أموره، ولا يزال في دار سيده ليلاً ونهاراً لا يبرح إلا إذا وجهه سيده في شغل فهو في شغله الدنياوي مع الله تعالى، وكذلك هذا حاله يوم القيامة، وفي الجنة فإنها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها بإذن سيده كتصرف المالك والأجير ليس له لا ما عين له من الأجرة فقط، ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ومؤجره ولا له اطلاع على أسراره ولا تصرف في ملكه إلا بقدر ما استؤجر عليه، فإذا انقضت مدة إجارته وأخذ أجرته فارق مؤجره واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطلب من استأجره إلا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخاليه ويخلع عليه فذلك من باب المنة.

(فإن قلت): فهل يكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا؟

(فالجواب): لا يكون في الآخرة عبودية اضطرار أبداً لعدم التحجير فإن تفطنت يا أخي لما نبهتك عليه علمت من أي مقام قالت الأنبياء إن أجري إلا على الله مع كونهم العبيد الخلص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لأن طلب الأجر راجع إلى دخولهم تحت حكم الأسماء الإلهية فمن هناك وقعت الإجارة فهم في حال الاضطرار وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والأسماء دائماً تطلبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا. فلهم الاختيار من هذا الوجه في الدخول تحت أي اسم شاؤوا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم إلهي ويقوم بدعوة سيده، فإذا فعل ما أمره به حينئذ رجع إلى أي اسم شاء ولهذا كان الإنسان يتنفل حتى يسمع إقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر إلى أداء فرض سيده ومالكه، فإذا فرغ دخل في أي نافلة شاء.

(فإن قلت): فمن أي حضرة كان أجر الأنبياء على الله تعالى؟

(فالجواب): هو من حضرة السيادة، فإنه هو الذي استخدمهم في التبليغ.

صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلاثمائة وسيأتي ذلك ملخصاً في الباب المذكور إن شاء الله تعالى.

(قلت): الذي نعتقده أن تقديم الخلفاء الأربعة كان بالفضل والزمان معاً وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم. فليتأمل، ويحرر والله واسع عليم. وقال في الباب الرابع وثلاثمائة: ما عظم الزهاد في أعين الملوك والأمراء والأغنياء إلا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو أنهم طلبوا من الناس شيئاً من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الأغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو أن الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلاً قبل طلب تلك

(فإن قلت): فهل يكون زيادة أجر النبي ﷺ ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب والراحة من جهة المدعوين؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وأربعمائة: إن أجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين.

(فإن قلت): فكيف يصح طلب الأجر من الله مع كون الأجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلاً؟

(فالجواب): إنما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولاً لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الأجر المجهول من الخلق لا يصح إلا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعى عليهم.

(فإن قلت): فهل للرسول أجر إذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه؟

(فالجواب): نعم للرسول أجر في ذلك لكن كما يؤجر المصاب فيمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا من العدد ما بلغوا كما أن الذي يعمل بشرع محمد ﷺ ويؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها في شرع محمد ﷺ.

(فإن قلت): فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى عليه رسوله المشار إليه بقوله ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها إليه أم غير ذلك؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الأحد وعشرين وثلثمائة: أن المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولاً هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد، ولم تستقل عقولهم بإدراكه، ولهذا جعل له الملائكة رصداً حذراً من الشياطين أن تلقى إلى الرسول ما يعمل به في نفسه من التكاليف الذي جعله الله طريقاً إلى سعادة العباد من أمر ونهي ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]، فأضاف الرسالة إلى قوله ربهم لما علموا أن الشياطين لم تلق

الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصاً عظيماً وأطال في ذلك وقال في الباب الثامن وثلاثمائة: في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]. أي: قد أتى على الإنسان واعلم أن آخر صورة ظهر فيها الإنسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لأنه كان قبلها له في كل مقام وحضرة فلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكوراً بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصورة ولا عصى ربه فيها ولا يموت إلا فيها. قال: ولا يخفى أن حقيقة مسمى الإنسان هي اللطيفة والجسم معاً. وشرفه عارض لا ذاتي فإن شرفه إنما هو بما أعطاه

إليهم، أعني الرسل شيئاً فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره.

(فإن قلت): فهل ذلك القدر الذي يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو بإعلام الملك أم هو بلا واسطة ملك؟

(فالجواب): هو بلا واسطة ملك فإن الملائكة إذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف أنوارها بالرسول كالهالة حول القمر، وتكون الشياطين من ورائها لا يجدون سبيلاً إلى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر، قال الشيخ محيي الدين، وليس في «**الفتوحات المكية**» ولا غيره من كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وإنما كان محالاً لأنه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لأحد الجانبين، وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه.

(فإن قلت): فما الحكمة في كونه ﷺ كان يلحقه البرد إذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء؟

(فالجواب): الحكمة في ذلك أن الرسول إذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول، ثم إن الهواء الخارج مع الرطوبات من البدن يغمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج، ثم إذا سرى عن ذلك النبي وانصرف الملك عنه، سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية، وإيضاح ذلك: أن الملك إذا ورد على رسول الله بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الإنساني ويتلاقيان هذا بالإصغاء، وذلك بالإلقاء، وكل منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو أشد ما يكون، ثم إن تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة، ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال، ثم إذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت المسام قبل الجسم الهواء البارد من الخارج فتخلل الجسم، وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطاء

الله من العلم، والخلافة، والسلطنة لا غير. وقال في الباب التاسع وثلاثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم. عباد وصوفية وملامتية وهم كمل الرجال فضابط العباد أنهم رجال غلب عليهم الزهد، والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة، لا يرون شيئاً فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله وضابط الصوفية أنهم رجال فوق هؤلاء العباد لأنهم يرون الأفعال كلها مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع، [illegible] وغير ذلك، ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء

وزيادة الثياب ليسخن، وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها. ولا يخفى أن هذا كله خاص بما إذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم.

(فإن قلت): فلم اختار الأنبياء النوم على ظهورهم دون جنبهم؟

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة: أنهم إنما اضطجعوا على ظهورهم لعلمهم بأن كل ما قابل الوجه فهو أفق له ومعلوم أن الأفق نوعان: نوع أدون وهو الأرض، ونوع أعلى وهو السماء، فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وإيضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين: هو أن تعلم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل الروح الإنساني المدبر عن تدبيره بما يتلقاه من الوارد الإلهي من العلوم الإلهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض المعبر عنه بالاضطجاع، ولو كان على سرير، فإن السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب فهذا سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم، ثم إن الروح إذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد إلى حضرة ربه رجع الروح إلى تدبير جسده فأقامه من ضجعته، قال الشيخ: وما بلغنا عن نبي قط أنه تخبط واضطرب عند نزول الوحي أبداً والله أعلم.

(فإن قلت): فما ثم إذن في العباد أقوى من الأنبياء لتحملهم ثقل الوحي؟

(فالجواب): نعم. ما ثم أقوى من الأنبياء فهم أقوى من الجبل، لتحملهم الوحي حين نزل إليهم ولم يحمل ذلك الجبل بل تصدع. قال الشيخ في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة: ومما يؤيد قولنا: إن الأنبياء أقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠، ٩١]. وقد سمع الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ولم يكادوا ينفطرون ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لأنه تعالى تجلى للأنبياء، نحو حضرة قوله تعالى: ﴿لَوْ

ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لأهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى وضابط الملامتية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم أرفع الرجال مقاماً رضي الله عنهم أجمعين. وقال في الباب العاشر وثلاثمائة: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٢]. اعلم أن التدثر إنما يكون في البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك إذا ورد على النبي ﷺ، بعلم أو بحكم تلقى تلك الصورة الروح الإنساني فإذا تلاقيا هذا

أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [الأنبياء: ١٧] فعلموا من حضرة الإطلاق الإلٰهي ما لم تعلمه السموات والأرض والجبال فأنتج لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب عظمه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد أن لله ولداً وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى.

(فإن قلت): فهل كان قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام؟

(فالجواب): لم يبلغنا في كتاب ولا سنة أنه كان قبل نوح رسل وإنما كانوا كلهم أنبياء فقط، كل نبي منهم على شريعة مخصوصة من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل. فمن دخل ثم رجع كان كافراً ومن لم يدخل فليس بكافر كما أنه إذا أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافراً، وأما من لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر.

(قلت): لكن رأيت في مسند الإمام سنداً مرفوعاً كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولاً مكرماً انتهى. فليتأمل مع ما قبله وما بعده.

(فإن قلت): قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] هل هو نص في الرسالة؟

(فالجواب): ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلاثمائة. قال: وإنما هو نص في أن في كل أمة عالماً بالله تعالى وبأمور الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول. إذ لو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال: وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وإنما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجيء له نص في القرآن بالرسالة وإنما قيل فيه: صديقاً نبياً فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام.

بالإلقاء وهذا بالإصغاء احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية فتغير وجه ذلك الشخص لذلك وهو أشد ما يكون ولذلك تصعد الرطوبات البدنية كأنها بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذا الحال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج من البدن قوياً غمر المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فإذا سرى ذلك عن النبي أو عن صاحب الحال، وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج ويستولي على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك

(فإن قلت): فهل كان عدم إجابة أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام، لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم. فالجواب: ليس للهمة من الداعين أثر في المدعوين جملة واحدة. ومن قبل من رسول ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعي وإنما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لمخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد، فعلم أنه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لأسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائناً من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل رد قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول: لو كان الواعظ صادقاً مخلصاً في وعظه لأثر وعظه في قلوب السامعين فإنه لا أصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولاً بل قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥، ٦] فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة. وإنما ذلك من المزاج كما مر، ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ إذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يد أي من جاء به من الناس ولو من كافر بالله إذ الوحي الذي جاء به المشرك حق على كل حال وإن لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقاً لا من حيث المحل الذي ظهر به.

(فإن قلت): فما إيضاح ذلك؟

(فالجواب): أن تنظر في حال المدعو فإن رأيته في حال سماعه يسمع من الواعظ كلاماً ولم يؤثر فيه ثم إنه يسمع من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه. فاعلم أن ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وإنما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع سوى نفسه وفي القرآن العظيم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨] وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] أي: ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وهو أعلم بالمهتدين. أي: الذين

يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي إن كان نبياً أو من الإلهام إن كان ولياً، وأطال في ذلك.
وقال في الباب الحادي عشر وثلاثمائة: لم أعرف اليوم أحداً تحقق بمقام العبودية أكثر مني فإنه إن كان هناك أحد فهو مثلي فقط وذلك لأني بلغت من مقام العبودية غايته فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعماً وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها علي ولم أنلها بعمل بل اختصاص إلهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها عليّ ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.

(قلت): وقوله: فأنا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ إلى الحلول والاتحاد والله

قبلوا التوفيق على مزاج خاص فللهادي الذي هو الله تعالى الإبانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين إلا الإبانة فقط ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة.

(فإن قلت): فما معنى قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] مع أن القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعي إلى احتياجهم إلى بيان الرسول ﷺ؟

(فالجواب): سبب ذلك أن كل كلام لا بد فيه من إجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الإلهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم أنه لا يفصل العبارة إلا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى في تفصيل ما أجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه في كلامهم ولولا أن حقيقة هذا الإجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا من حال إلى حال قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وهو ما أنزل خاصة وأما ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فإن البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة.

(فإن قلت): فهل النبوة من النعوت الإلهية أو الكونية؟

(فالجواب): هي من النعوت الإلهية أثبت حكمها في الجناب الإلهي الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الأمر الذي في الدعاء المأمور به وإجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه فيه فليست النبوة بمعقول زائد على هذا الذي ذكرناه إلا أنه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسماً كما أطلق في الولاية فسمى نفسه ولياً وما سمى نفسه نبياً مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة.

(فإن قلت): فما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] كيف وصل إلى قلب الرسول والنبي مع أنهما معصومان منه.

(فالجواب): كما قال الشيخ في الباب السادس من «**الفتوحات**»: إن الأنبياء عليهم

أعلم. وقال: فيه في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر بصورة إسرافيل، ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة الملك وأطال في الفرق بينهما. وقال في الباب الثاني عشر وثلاثمائة في معرفة وحي الأولياء الإلهامي: اعلم أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى قلب ولي من أوليائه بأمر ما تجلّى الحق إلى قلب ذلك الولي برفع الحجب فيفهم الولي من ذلك التجلي ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولي به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي ﷺ، العلم بالضربة بين ثدييه في شربة

السلام، إنما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى إليهم ولا يعملون بقوله: لعصمتهم فليس له على قلوب الأنبياء من سبيل فالعصمة حقيقة إنما هي العمل بما يلقي لا من الإلقاء لأجل الآية المذكورة في السؤال بخلاف قلوب الأولياء فقد يعملون بما يلقى إليهم إن لم تحفهم عناية الحفظ. ولما علم إبليس أن رسول الله ﷺ معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف إبليس عليه جاءه في الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان أن يفتن بذلك رسول الله ﷺ، عن صلاته وعن الإقبال عليها لما رأى ما له في الصلاة من الخير، إذ هو لعنه الله حسودٌ لبني آدم بالطبع فتأخر النبي ﷺ إلى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه. خاتمة: إن قلت هل يمتنع رسالة نبيين معاً في آن واحد إلى شخص واحد.

(فالجواب): كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من «**الفتوحات**»: نعم يمتنع رسالتهما إلا أن يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهارون عليهما السلام، قال تعالى فيهما: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]. إلى آخر النسق فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لا سيما وموسى عليه الصلاة والسلام، يقول عن هارون وهو ﴿أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤] انتهى. والله أعلم.

المبحث الرابع والثلاثون:
في بيان صحة الإسراء وتوابعه وأنه رأى من الله تعالى صورة ما كان يعلمه منه في الأرض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الأرض

اعلم أن الأصل في قصة الإسراء قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]. قال الشيخ محيي الدين: والضمير في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾: راجع إلى رسول الله ﷺ،

اللبن ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول: وجدت في خاطري كذا وكذا، ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم. وقال في الباب الثالث عشر وثلاثمائة: اعلم أن أول رسول أرسل نوح عليه السلام، ومن كانوا قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافراً ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافراً ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافراً قال: وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]. فليس هو بنص في الرسالة وإنما هو نص في أن في كل أمة عالماً بالله تعالى وبأمور الآخرة

لهم في الظهر لا في الظهور وإلى تلك الإشارة يقول بعض العارفين: لم يمت أبو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن أي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الإلهام بحكم الإرث لرسول الله ﷺ ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم.

المبحث الخامس والثلاثون:
في كون محمد ﷺ خاتم النبيين كما به صرح القرآن

اعلم أن الإجماع قد انعقد على أنه ﷺ خاتم المرسلين كما أنه خاتم النبيين، وإن كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من «**الفتوحات**»: قد ختم الله تعالى بشرع محمد ﷺ جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل إليه بشرع يتعبد به في نفسه إنما يتعبد الناس بشريعته إلى يوم القيامة.

(قلت): وأما اجتهاد الأئمة وتشريعهم في الأحكام فذلك بإذنه مع أن مادتهم في الاستنباط إنما هو شرعه ﷺ الثابت كتاباً كان أو سنة، وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عنه المجتهد من قياس فرع على أصل فإنه من السنة أيضاً وهو المراد بالاستنباط، وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به إلا المقلدون للأئمة فإنهم جعلوا قياس الفرع على الأصل أصلاً رابعاً كما جعلوا الإجماع أصلاً ثالثاً، وقالوا: إن الأئمة لا تجمع على أمر إلا وهم يعرفون له دليلاً، وإن لم يذكروه لنا فنحن نقطع بتحريم خرق إجماع الأئمة سواء علمنا لهم دليلاً في ذلك أم لم نعلم والله أعلم.

وقال في الباب الرابع عشر من «**الفتوحات**»: اعلم أن حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله إليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فإن بعث بها إلى غيره كان رسولاً أيضاً، وأطال في ذلك ثم قال: واعلم أن الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به إلى ذلك النبي على أذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء. قال: وهذا باب أغلق بعد موت محمد ﷺ فلا يفتح لأحد إلى يوم القيامة ولكن بقي

عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب فاتخاذ الإمام واجب ثم إنه يجب أن يكون واحداً لئلا يختلفا فيؤدي إلى الفساد وامتناع وقوع المصلحة. وقال في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣]. اعلم أن العبد ما دخل عليه مقت الله إلا من باب إضافة الفعل إلى نفسه من غير مشيئة الله تعالى، فلو أنه قرن العمل بالمشيئة الإلهية لم يمقته الله تعالى، فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الإلهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضاً من استثنى إذا حلف على فعل مستقبل فإنه أضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه قال: وهذا لا ينافي إضافة الأفعال إلى

للأولياء وحي الإلهام الذي لا تشريع فيه إنما بفساد حكم. قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط قال، ولو أنّ الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقياً بعد محمد ﷺ لكان عيسى عليه السلام إذا نزل لا يحكم بشريعة محمد ﷺ، وإنما يحكم بشرعه الذي يوحي به إليه جبريل وأطال في ذلك.

وقال في الباب العاشر وثلاثمائة: واعلم أن الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلاً ولا يأمر غير نبي بأمر إلهي جملة واحدة، فإن الشريعة قد استقرت وتبين الفرض، والواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح، فانقطع الأمر الإلهي بانقطاع النبوة والرسالة، وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعاً يتعبد به أبداً، فإنه إن أمره بفرض كان الشارع أمره به، وأخطأ هو في ادعائه نبوة قد انقطعت، أو نهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه أو أمره بمندوب كان الشارع ندبه إليه أو نهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له، فإن قال: إن الله أمرني بفعل المباح قلنا له: لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجباً في حقك أو مندوباً وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحاً مأموراً به يعصي العبد بتركه، وإن أبقاه مباحاً كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الأمر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي، فإن قال لم يجئني بذلك ملك، وإنما أمرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له: هذا أعظم من الأول فإنك إذن ادعيت أن الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم إنه تعالى لو كلمك أو قال لك ما كان يلقى في كلامه إلا علوماً وأخباراً لا أحكاماً ولا شرعاً، ولا يأمرك بأمر جملة واحدة انتهى.

قال الشيخ أيضاً في الباب الحادي والعشرين من «**الفتوحات**»: من قال إن الله تعالى أمره بشيء، فليس ذلك بصحيح إنما ذلك تلبيس لأن الأمر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس، فإنه ما بقي في الحضرة الإلهية أمرٌ تكليفي إلا وهو مشروع فما بقي للأولياء وغيرهم إلا سماع أمرها، ولكن لهم المناجاة الإلهية وتلك لا أمر فيها وإنما هو حديث وسمر، وكل من قال من الأولياء إنه مأمور بأمر إلهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي

المخلوقين من حيث الحكم فإن للعبد حكماً في ظهور العمل وما له أثر في إيجاده وفرق بين الأثر والحكم، قال: وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف: ٢]. ولم يقل: يا أولي الألباب ولا يا أولي العلم لأن العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل إلا بالاستثناء لعلمه بأن خلق الفعل لله لا له وأطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وأن الإنسان هو الذي يمقت نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك وقال في الباب الرابع والعشرين وثلاثمائة في قول رسول الله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، اعلم أن المرأة تلحق

محمدي تكليفي فقد التبس عليه الأمر، وإن كان صادقاً فيما قال إنه سمعه فليس ذلك عن الله، وإنما هو عن إبليس فظن أنه عن الله لأن إبليس قد أعطاه الله تعالى أن يصور عرشاً وكرسياً وسماء، ويخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية إن شاء الله تعالى.

فقد بان لك أن أبواب الأوامر الإلهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد ﷺ فهو مدع شريعة أوحى بها إليه سواء موافق شرعنا أو خالف، فإن كان مكلفاً ضربنا عنقه وإلا ضربنا عنه صفحاً.

(فإن قيل): فهل كان قبل بعثة رسول الله ﷺ تحجير في ادعاء النبوة؟

(فالجواب): لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح الخضر عليه الصلاة والسلام: وما فعلته عن أمري فإن زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحى إليه بها على لسان ملك الإلهام، وقيل؛ بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه، وأما اليوم فإلياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد ﷺ إما بحكم الوفاق أو بحكم الاتباع، وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك إلا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة، وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل إلى الأرض لا يحكم فينا إلا بشريعة نبينا محمد ﷺ يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف، وإن كان نبياً انتهى.

واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم إلا أن يخصه دليل وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] فلم يجعل لأحد بعد بعثة محمد ﷺ أن يخالف شرعه إنما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد ﷺ أن يشرع فيأمر وينهي، وأما قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، فالمراد بطاعتنا لهم فيما إذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه، لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت، فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤوا به والله أعلم. وقا الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من «**الفتوحات**»: لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد ﷺ كان ذلك من أشد ما تجرعت الأولياء

الرجال في الأبوة وتلحقهم أيضاً في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق إلى ذلك وقبول قولها بأنها حائض فقد تنزلت هٰهنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فتداخلا في الحكم فهذه تولية لها من الله وأما الحديث فإنما هو في تولية الناس قال: ولو ولم يكن للنساء من الشرف إلا قوله ﷺ: «النساء شقائق الرجال» لكان فيه غنية فإن فيه إشارة إلى أن كل ما يناله الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر إلى حكمة الله تعالى فيما

مرارته لانقطاع الوحي الذي كان به الوصلة بينهم وبين الله تعالى فإنه قوت أرواحهم انتهى.
وقال في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين: اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقاً بعد محمد ﷺ وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله ﷺ لا نبي بعدي ولا رسول بعدي. أي مائم من يشرع بعدي شريعة خاصة فهو مثل قوله ﷺ إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر إلا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك، وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول أوتي الأنبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أي حجر علينا اسم النبي مع أن الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله ﷺ ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء: الأولياء فغاية نبوتهم التعريف بالأحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير انتهى.

(فإن قلت): فما الحكم في تشريع المجتهدين؟

(فالجواب): أن المجتهدين لم يشرعوا شيئاً من عند أنفسهم وإنما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الأحكام فقط من حيث إنه ﷺ قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فإنه ﷺ هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل، ولو قدر أن المجتهد شرع شرعاً لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لأنه شرعٌ لم يأذن به الله والله أعلم.

(خاتمة): مما يؤيد كون محمد ﷺ أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الأحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لأحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة إلا وهو من باطنية محمد ﷺ سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا ﷺ بأنه أوتي علم الأولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك، وقد عمم محمد ﷺ الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب. فاجهد يا أخي أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد ﷺ فإنه أعلم خلق الله بالله على الإطلاق وإياك أن تخطىء أحداً من علماء أمته من غير

زاد للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل: المرء، وقال في الأنثى: المرأة فزادها هاء في الوقف وتاء في الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة قوله: وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة وأطال في ذلك قال: ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق لفظ الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فإن في ذلك جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الأمر.

(قلت): ذكر الشيخ في الباب الخامس والأربعين وثلاثمائة ما نصه إنما قال تعالى:

دليل وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعاً وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد ﷺ ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لأنا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقاً وإنما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك إلا من باطنية محمد ﷺ شعرت بذلك أم لم تشعر. قال الشيخ: ووافقنا على ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي في كتابه «**خلع النعلين**» وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

المبحث السادس والثلاثون: في عموم بعثة محمد ﷺ إلى الجن والإنس وكذلك الملائكة على ما سيأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين

وقد ورد في «**صحيح مسلم**» وغيره: وأرسلت إلى الخلق كافة. وفسروه بالإنس والجن كما فسروا بهما أيضاً من بلغ في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضاً العالمين في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] قاله الجلال المحلي رحمه الله.

(فإن قلت): فهل تكليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكليف ألزمهم به الحق تعالى، ابتداء وألزموا به أنفسهم ليشاركونا في الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر؟

(فالجواب): قد أورد هذا السؤال الشيخ في الباب السادس والستين وثلاثمائة وقال: لا أدري انتهى. فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب، واختلفوا في الملائكة هل أرسل إليهم محمد ﷺ، أم لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان عن الحليمي أنه صرح بأنه ﷺ، لم يرسل إلى الملائكة ثم إنه نقل عن الحليمي أيضاً في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه. وفي «**تفسير الرازي**» و«**البرهان النسفي**» حكاية الإجماع في تفسير الآية الثانية السابقة آنفاً على أنه ﷺ، لم يكن رسولاً إليهم. قال الشيخ كمال الدين بن

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]. نفياً للصاحبة لأن المراد بالكفء هنا الصاحبة لأجل من قال: إن المسيح ابن الله والعزير ابن الله فإن الكفاءة هي المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبداً فإن الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فليست له بكفء فإن المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن إرادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفء من هذا الوجه ولما قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾. لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلاً عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلاً عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشراً سوياً، وقال: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا